

الامامة والسياسة

[12] حريق الكعبة قال: فجاء رجل في طرف سنان رحمه نار، فأشعلها في الفسطاط، فوقعت النار على الكعبة، فاحترق الخشب، وانصدع الركن، واحترقت الاستار، وتساقطت إلى الارض. قال: ثم قاتل أهل الشام أياما بعد حريق الكعبة، واحترقت في ربيع الاول سنة أربع وستين. قال: فلما احترقت جلس أهل مكة في ناحية الحجر، ومعهم ابن الزبير، وأهل الشام يرمونهم بالنبل. قال: فوقع بين يديه نبله. قال: في هذه خير، فأخذوها فوجدوا بها مكتوبا: مات يزيد ابن معاوية يوم الخميس لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول. فلما قرأ ذلك ابن الزبير قال: يا أهل الشام، يا محرقى بيت الله، يا مستحلي حرم الله، علام تقاتلون؟ وقد مات طاغيتكم يزيد ابن معاوية، فأتاه الحصين بن نمير فقال له: موعذك البطحاء الليلة يا أبا بكر. فلما كان الليل خرج ابن الزبير بأصحابه، وخرج الحصين بأصحابه إلى البطحاء، فتنحى كل واحد منهما من أصحابه وانفردا، فقال الحصين: يا أبا بكر، قد علمت أنني سيد أهل الشام، لا أدافع عن ذلك، وأن أعنة خيلهم بيدي، وأرى أهل الحجاز قد رضوا بك، فأبايعك الساعة، على أن تهدر كل شيء أصبناه يوم الحرة، وتخرج معي إلى الشام، فإنني لا أحب أن يكون الملك في الحجاز. قال: لا والله لا أفعل لا أؤمن من أخاف الناس، وأحرق بيت الله، وانتهدك حرمة. فقال الحصين: بلى، فافعل، فعلي ألا يختلف عليك اثنان. فأبى ابن الزبير. فقال له الحصين لعنك الله، ولعن من زعم أنك سيد، والله لا تفلح أبدا، اركبوا يا أهل الشام. فركبوا وانصرفوا قال: فحدثني من شهد انصرافهم، قال: والله إن كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع. قال أبو معشر: وذلك أن المنهزم لا فؤاد له. قال: فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير، إلا أهل الاردن، وبايع أهل مصر ابن الزبير، وغلب على أهل العراق والحجاز واليمن، وغلظ أمره، وعظم شأنه، واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام. اختلف أهل الشام على ابن الزبير قال: وذكروا أن ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام، قام أناس من أهل الشام من رءوس قريش بني أمية وأشرافهم وفيهم روح بن زنباع الجذامي، فقال بعضهم: إن الملك كان فينا أهل الشام، أفينتقل ذلك إلى أهل الحجاز؟ لا نرضى بذلك، هل لكم أن تأخذوا رجلا منا فينظر في هذا الامر؟ قالوا: نعم. فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية، وهو غلام